منهم اللهمَّ الاّ المتوحّش او الذي يعتزل الناس بتةً وينقطع في رأس جبل . ولكن لا يستفيد منها حقّ الاستفادة الاّ الذي أُتقنت تربيتهُ في الادوار المتقدمة عليها لان اعظم الناس انتفاعاً بها مَن كان احسنهم ترشحاً لها وذلك انما يكون بما اعتادهُ واكتسبهُ واستفادهُ في التربيات الاخرى حتى اصبح متحصد قوى البدن والنفس مشحوذ الذهن والحجى بقدر الاستطاعة متهيئاً في الجملة لاقتحام هذه اللجّة فيقتحمها وهو يرجو اذا وفّاها شروطها ولم يحجم عن اهوالها ان يكون خليقاً بعدها بأن يدعَى رجلاً

ستأتي البقية

القمر

هو بعد الشمس أبهى الاجرام السماوية على العموم ونكتة الفلك الارضيّ بل أغرب ما يرى الناظر في عالم النجوم اذا استقلّ في فلكهِ يسبح فوق الوهاد والإكام ورأيتهُ يتراجع مع النجم وهو مجدٌّ في وجههِ الى الأمام فتخطّى الأبراج وكانهُ واقفٌ لا يحسّ لهُ الناظرون انتقالا وظهر بأشكالهِ من الهلال الى البدر حتى يعود هلالا فكان قيد الابصار تراهُ ابدًا جديدًا على تقادُم عهدهِ وتوهمهُ على قِيد اميالٍ منها وهو الشاسع في بعدهِ على انهُ ادنى العوالم من الارض مقيلا واعلقهنَّ بها حبلاً واقربهنَّ تمثيلا فهو صورة الارض في السماء ورفيق طِيّتها الى حيث لا تدري في اجواز الفضاء وشريك بختها فيما أُرصد لها من احكام القضاء بل هو وليدها وان تقضّى قبلها شبابهُ وشابت دونها

أترابهُ وقد دفعتهُ عنها منذ فصالهِ فرَّ الى حيث لا مطمع في ايابهِ ثم عزَّ عليها الآن يكون بحيالها فأخذت عليهِ طريق انسيابهِ فهو ابدًا يدور من حولها مقطَّع النياط ويقطع معها اضعاف ما تقطع من الاشواط

***

بل هو مثال الرونق والجمال وآية الأبهة والجلال اذا برز من الافق فانهزمت من وجههِ جيوش الظلماء وانفرجت الكواكب لمرّهِ في عُرض السماء فأقبل يتنقل بينها وهو يسير الهُوَينى عزَّةً وخُيلاء فسمت اليهِ الأبصار اعجابًا واكبارا وانصرفت اليهِ الوجوه ابتهاجًا واستبشارا وانطلقت لهُ النفوس نشاطًا وارتياحا واتسعت بهِ الصدور انبساطًا وانشراحا وخلا اليهِ العاشق يتذكر وجه حبيبهِ ولها بهِ المحزون فسلا عن حميمهِ ونسيبهِ وأوى اليهِ المسهَّد فكان سميرهُ في سُهدهِ واتخذهُ المسافر رفيقًا فذهل بهِ عن مخاوف سفرهِ ومشقة جهدهِ وجلس اليهِ الشَرِب يتعاطون مثل الشمس في مثلهِ وتساير بازآئهِ المتعاشقان يستبصران بنورهِ ويستتران بظلهِ وقد تخلل شعاعهُ نسج النسيم حتى اتحدا اتحاد الماء بسلافة النديم فكان ألطف ما مرّ ببَصَر في ألين ما التحف بشَر فأسجل الشاهد أنَّ لياليهُ اصفى الاوقات وانهُ الجالي لأكدار النهار كما تُجلى بهِ كدورة الظلمات

***

لا بل هو مبعث الوحشة ومحرّك الاشجان ومثير هواجس الصدر وبلابل الجنان اذا طلع في ليلهِ وقد سكتت الاصوات وسكنت الحركات ولم يبقَ الا تموّج الهواء باختلاج الانفاس الصوامت وحفيف النسائم بين ورق الشجر المتخافت فأرسل نورهُ الضعيف سابحًا في انحاء الفضاء مترقرقًا على وجه

الغبراء تظهر من تحتهِ الوهاد المنبسطة في العراء والقمم الشاخصة في الهواء لا يمشي فيها حيوان ولا تُسمع نأمة انسان فوقف المتأمل امام مشهد ذلك الجمود وقد مُلكت عليهِ مشاعرهُ حتى توهم نفسهُ بمعزلٍ عن الوجود فتخيل ما حولهُ من الارض مجاهل خالية او اطلالاً بالية بل تخيَّل الارض كانها يومَ خُلقت فهي ادغالٌ وتنائف وتصوَّر نفسهُ آدمها وقد وقف فيها بين الدَهَش والمخاوف فخيمت فوقهُ وحشة العُزلة واحاطت بنفسهِ هيبة الوحدة وانبعثت الاشجان في صدرهِ فتفرَّغ لمناجاتها وهاجت الذِكَر في نفسهِ فغاص بين تيّاراتها وتوارد عليهِ من الخواطر ما حبَّب اليه الملحق بعالم الفناء ثم استهواهُ ما يرى من جمال الطبيعة فثابت اليهِ الرغبة في البقاء فتمنى لو اتخذ سبيلاً الى هذا العالم الماثل فوق راسهِ او تعلّق بما تدلّى اليهِ من أشعّة نبراسهِ فربما تخيّل أنّ هنالك حدائق غلباء ومدائن غنّاء وقصورًا شاهقة وانهارًا دافقة واقواماً يمرحون في نعيم ويرتعون في خصبٍ مقيم .. وما ثمّت لو يعلم الاّ كونٌ جامد وقفرٌ هامد وسكوتٌ سائد وحُطام خلقٍ بائد لا يخطو هنالك غادٍ ولا رائح ولا يُسمع صوت باغٍ ولا صادح ولا يسبح طائرٌ في السماء ولا يدبّ حيوانٌ على العراء ولا يخضرُّ وادٍ ولا أكمة ولا تسحب أذيالها نسمة ولا ينتشر سحابٌ ولا ضباب ولا يترقرق ماءٌ ولا سراب ولكنَّ جملة ما هنالك طللٌ داثر وعالمٌ من عوالم الدهر الغابر بل جنازةٌ يُطاف بها حول الارض وان لم تحملها المناكب وقد صلّت عليها السيارات فترحمت عليها الكواكب

∴

لا بل هو خلف الشمس ومصباح الظُلم ومقياس الازمان وموقّت الأمم

عنهُ أُخذ حساب الاسابيع والشهور وبحركتهِ حُدّدت الآجال والتواريخ من اقدم الدهور فكان السجلّ الذي يُرجع اليهِ في المعاملات والإمام الذي يُنزل على حكمهِ في توقيت العبادات بل طالما عبدهُ المتقدمون لانهم رأوا في فعلهِ ما يشبه افعال العاقل وآنسوا في صورتهِ ما يقرب من هيئة الناطق وشاهدوا من بهآئهِ ما نزّلهُ عندهم منزلة الخالد فكان لهُ الحكم في السعادة والشقآء والاعتلال والشفآء وصلاح الغرس والزرع وصحّة الجنى والقطع وعلى الجملة فقد كان الحاكم في الاحوال والاعمال والمستشار في العزائم والآمال بما يبدو عليهِ من نقصٍ او تمام او يتفق لهُ من اقترانٍ بغيرهِ من الاجرام مع اعتبار ما يقع ذلك فيهِ من الايام[1] شؤونٌ ساق اليها ضعف الاحلام واستيلاء الاوهام والله من ورآء ما يفعلون وهو العزيز العلاّم

* * *

لا جرَم ان اول ما يَبدَه الناظرَ من مرأى القمر وهو في اوان البدر وما حواليهِ انهُ يراهُ على خلقة وجه الانسان فيهِ العينان والحاجبان والانف والفم وذلك بما يتخلل سطحهُ من المحو أي السواد المنتشر على وجههِ بحيث يتبادر منهُ الى الخيال هذه الهيئة الغريبة. فهو في ذلك على حدّ ما تُخيّل احياناً في قِطَع الغيم المتراكمة من هيئات الاناسيّ والدوابّ وغيرها بما يعرض لها من اختلاف الاشكال وما يتخللها من الظلال في جنب ما يقع عليها من ضوء الشمس. وهذا المنظر في القمر يستمرّ من لدن طلوعهِ من المشرق حتى يبلغ الزوال فاذا

---

١ كان يوم القمر عندهم يوم الاثنين كما لا تزال تدل على ذلك تسميته عند اكثر الامم الافرنجية فاذا اتفق ان يكون القمر في ذلك اليوم بدراً ففيه تمام السعادة. وكثير مما ذكر من هذه العقائد باق الى يومنا هذا ولا سيما عند اهل الفلاحة

مال بعد ذلك وانقلب الى جهة المغرب تبدّل منظرهُ واستحال الى صورة رجلٍ قائمٍ على ساقيهِ وقد مدَّ ذراعيهِ الى الامام كانهُ يدافع بهما . الّا ان كل ذلك انما يكون في نظر العين المجرَّدة فاذا نُظر اليهِ ولو بمنظارٍ ضعيف انتسخ ذلك بجملتهِ ولم يبقَ لهُ اثر

ثم ان هذا المحو كما كان سبب تضليل للأُمم الاولى ومن بقي على شاكلتها ليومنا هذا من العامّة فقد كان محلّ حيرةٍ للعلمآء واهل البحث منهم وقد اختلفوا في امرهِ اختلافاً بعيدًا وافترقوا في ماهيتهِ على مذاهب نورد بعضها تذكرةً للقرآء . فمنهم من ذهب الى ان ذلك ناشئ عن شكل القمر وخلقتهِ اذ هو مخلوقٌ على هيئة وجه الانسان على نحو ما تقولهُ العامة فهو عند هؤلآء القائلين تمثال رأسٍ ضخمٍ بمنزلة رأس ابي الهول مثلاً . وزعم آخرون انهُ شبح ما ينطبع فيهِ من السفليات من الجبال والبحار يعنون ما في الارض من ذلك وهذا مبنيٌّ على أن القمر جرمٌ صقيل كالمرآة بدليل عكسهِ لضوء الشمس على ما سيمرّ بك من مذهبهم . وقال غيرهم انهُ السواد الكائن في الوجه الآخر منهُ اعني النصف المظلم الذي لا يقع عليهِ ضوء الشمس وهو قول من يزعم ان الكواكب اجسامٌ شفّافة . وهناك مذاهب اخرى لا تقلّ غرابةً عن هذه كانوا يقولون فيها بالحدس ويبنونها على قواعد فلسفة ذلك العصر مما لا محلّ للافاضة فيهِ في هذا الموضع . والصحيح وهو الذي يُشاهَد بالآلات المعظِّمة ان بعضهُ لون الظلّ الذي تلقيهِ جبالهُ على وهادهِ وبسائطهِ واكثر ما يكون ذلك وهو في احد التربيعين وما اليهما لوقوع شعاع الشمس عليهِ حينئذٍ منحرفاً والبعض الآخر لون صحاريهِ وما يتخلل جبالهُ من الأتربة والرمال وبقايا الخلق الداثر . واما في أوان البدر الذي يكون فيه صحنهُ المواجه لنا مقابلاً للشمس وحين يكون ظلّ جبالهِ محجوباً عنا

بقسم تلك الجبال انفسها فلا كلام في انهُ لون تلك الاتربة

اما شكل القمر فالظاهر لنا انهُ كرويٌّ على الجملة الّا انّ الذي يستقبلنا منهُ انما هو احد صفحيهِ دون الآخر اذ هو يوجه الى الارض جهةً واحدةً ابدًا كما يظهر ذلك بمراقبة محوهِ وتتبعهِ من اول الشهر الى آخرهِ . واما الجهة الاخرى فلا يكاد يُرى منها الا الشيء القليل من اطرافها لاسبابٍ ليس هذا موضع بيانها ولذلك لا يُعلم شكلهُ من تلك الناحية وبالتالي لا يُعلم قطرهُ المسامت لخط النظر . قالوا وعلة ذلك قوة جذب الارض لهُ ومعانعتها اياهُ من الدوران على نفسهِ الّا في القدر الذي يدور بهِ احد وجهيهِ حول الارض فتكون لهُ حول نفسهِ دورةٌ اضافية تتمها مرةً في الشهر عند تمام دورتهِ حول الارض . على انهُ قد رُؤي احد اقمار المشتري وهو اقربها منهُ مستطيلاً من القطر القائم على السيّار فهو اشبه بهيئة البيضة وهو ايضاً لا يوجه الى السيار الّا وجهاً واحدًا فغير بعيدٍ ان يكون قمرنا كذلك ويكون ما ذُكر هو العلة في وحدة اتجاههِ الى الارض

ولما كان القمر يدور حول الارض ويدور معها حول الشمس لزم بالضرورة ان يكون القمر تارةً بيننا وبين الشمس وهو اوان المحاق فلا تأتي لنا فيهِ رؤيتهُ اذ يكون الوجه المستنير منهُ الى الشمس والوجه المظلم الى الارض . وتكون الارض تارةً بينهُ وبين الشمس وهو اوان البدر وحينئذٍ نرى كل سطحهِ المستنير لوقوعهِ في استقبال الشمس . وتارةً تكون الارض والقمر متحاذيين على بعدٍ واحد من الشمس وهو اوان التربيع فنرى نصف السطح الموجه منهُ الينا لوقوع النصف الآخر في جهة الفضاء . وكما اننا نرى القمر منشكلاً بهذه الاشكال فلو وقف ناظر على سطح القمر المواجه لنا رأى الارض كذلك اي

يراها بدرًا عندما يكون القمر في المحاق ويراها في المحاق عندما يكون هو بدرًا واما في التربيع فالمنظر بينهما واحد حتى يجاوزاهُ فيعود الى الاختلاف شيئًا فشيئًا الى ان يصير احدهما بدرًا والآخر في المحاق

منظر الارض من القمر

ومما يُستملَح ايرادهُ هنا ما جاء في كتاب الكشكول للامام بهاء الدين العامليّ من اهل القرن العاشر الهجرة (٩٥٣ ــ ١٠٠٣) فانهُ وصف هذا المنظر اي منظر الارض من القمر بما لا يقصر عن وصف اعظم علماء هذا العصر قال

« كما أنّ جرم القمر يقبل ضوء الشمس لكثافته وينعكس عنهُ لصقالته كذلك الارض تقبل ضوءها لكثافتها وينعكس عنها لصقالتها لاحاطة الماء باكثرها

وصيرورتهِ معها ككرةٍ واحدة . فاذن لو فُرِض شخصٌ على القمر تكون الارض بالقياس اليه كالقمر بالنسبة الينا وبحركة القمر حول الارض يخيَّل اليهِ انها متحركة حولهُ ويشاهد الاشكال الهلالية والبدرية وغيرها في مدة شهر لكن اذا كان لنا بدرٌ كان لهُ محاق واذا كان لنا خسوفٌ كان لهُ كسوف لوقوع اشعَّة بصرهِ داخل مخروط ظلّ الارض ومنعهِ اياها من وقوعها على المستنير من الارض والماء بالشمس (كذا والصواب من وقوعها على الشمس) واذا كان لنا كسوف كان لهُ خسوف لوقوع اشعَّة بصرهِ داخل مخروط القمر ومنعهِ اياها ان تقع على الارض الّا ان خسوفهُ لا يكون ذا مكثٍ يُعتدّ بهِ لكونهِ بقدر مكث الكسوف ويكون لكسوفهِ مكثٌ كثير لكونهِ بقدر مكث الخسوف . ولأنّ بعض وجه الارض يابس فلا ينعكس عنهُ النور بالتساوي فكما يرى على وجه القمر المحو يرى على وجه الارض مثلهُ . وهذا الفرض وان كان محالاً لكنّ تصوُّر بعض هذه الاوضاع يعين الفكر على تخيل ايّ وضعٍ اراده بسهولة » اه

وهو كلامٌ في غاية الحسن وقد أصاب في اكثرهِ شاكلة الصواب الّا انهُ جعل علة انعكاس النور عن الارض كون اكثرها محاطاً بالماء وهو خلاف الواقع لأن شطرًا من النور بل معظم أشعتهِ ينفذ الماء ويتكسر فيهِ فلا ينعكس الّا أقلهُ وبخلافهِ الارض فانهُ لا يغيب فيها من النور الّا الشيء الذي لا يُعتدّ بهِ وباقيهِ ينعكس بجملتهِ . ولا اثر للصقالة هنا اذ هي انما تُعتبَر في عكس النور عن السطح المستوي كما في المرآة ووجه الكأس والبركة مثلاً حيث لا يظهر الماء تحدُّب محسوس فتنعكس الاشعة كلها الى جهة واحدة وذلك بشرط موافقة خط انعكاسها لاتجاه خط البصر واما السطوح الكروية فانما يُرَى النور المنعكس عنها من نقطة واحدة وهي التي يوافق انعكاسهُ عنها جهة البصر كما ترى في

الكرات العاجية والزجاجية وغيرها و باقيها تعكس الاشعة الواقعة عليه الى غير تلك الجهة فلا يُرى منها شيء . ومن هنا يعلم ان الانعكاس عن الارض يكون اشدّ واكثر لانها لتضارسها تعكس الاشعة عن كل قِمَّة وحيد مما لا بدّ ان يوافق الكثير منه خط البصر كيف اتفق وضعهُ بالقياس الى الشمس والى الناظر . وقد ثبت ذلك بمراقبة القمر نفسه في مروره على البرّ والبحر واختلاف ما يُرَى عليهِ من النور المنعكس عنهما حتى يُروَى ان كستلي وهو خرّيج غاليلاي المشهور استدلّ بذلك على وجود قارّة استراليا قبل كشفها . وذلك انهُ راقب الهلال عند عبورهِ فوق المحيط الجنوبي فوجدهُ كلما انتهى في فلكهِ الى الموضع المسامت لهذه القارّة يقوى النور الضعيف الذي على سائر جرمهِ المظلم وهو النور المنعكس اليهِ عن الارض على ما سنذكرهُ قريباً فتبين من ذلك ان هنالك ارضاً واسعة اذا قابلها اشتدّ انعكاس النور عنها اليهِ بخلاف ما يكون عليهِ وهو مواجهٌ لغير ذلك الموضع من البحر

ثم انهُ يفرض ان الواقف على القمر يرى الارض تدور حولهُ يعني مرة في الشهر وقد يتبادر من هذا الفرض ان ذلك على حدّ ما نرى نحن الشمس تدور حولنا وهو غير مرادهِ قطعاً لانهُ جعل ذلك مسبباً عن حركة القمر حول الارض ونحن انما نرى الشمس والنجوم تدور حولنا بدوران الارض على محورها لا بدورانها حول الشمس فالأظهر ان لهذا الفرض وجهاً آخر وهو انهُ يقدّر ان القمر يدور حول الارض واقطارهُ الاستوائية موازية لنفسها بمعنى انهُ لا يتحرك على محورهِ البتة فهو يستقبل الارض بجميع اجزاء سطحهِ على الولاء ولذلك يخيَّل الى الواقف عليهِ ان الارض تتحرك حولهُ . وهذا ايضاً ليس بصحيح لما ابنّا من ان القمر يولّي الارض وجهاً واحداً ابداً فالذي يلزم من هذا ان الواقف على نقطةٍ

منهُ حيثما رأى الارض من تلك النقطة سواءٌ كانت على الافق او في السمت او ما بينهما لا يتغير عليهِ موضعها ولا يراها تنتقل منهُ الاّ بمقدار ما يترجح في فلكهِ على ما سبقت الاشارة اليهِ وهي حركةٌ ضعيفة لا يكاد يُتنبّه لها ولا تتمّ الاّ في الزمن الطويل

بقي أنّ قطر الارض يكون نحو اربعة اضعاف قطر القمر فهي تُرَى من القمر اعظم مما نرى القمر بما يزيد على ثلاث عشرة مرة فيكون منظرها منهُ ابهى من منظرهِ من الارض بما لا يقاس والنور المنعكس عنها اليهِ على ما يقرب من تلك النسبة حتى اننا نشاهدهُ من هنا على المكان المظلم منهُ واضحاً وذلك في وقت الهلال وأبيَن ما يكون بين الليلة الثالثة والسادسة منهُ حين يرتفع القمر عن الشفق وقبل ان يعظم القسم المستنير منهُ بحيث يكسف رؤية النور المنعكس عليهِ من الارض وهذا ما يسميهِ علماء الافرنج بالنور الرماديّ لمشابهتهِ لون الرماد فانك اذا تأملتهُ رأيتهُ يُتمّ دائرة القمر واذا وجّهت اليهِ المرقب امكنك ان ترى ما فيهِ من المحو الذي تراهُ بعد ذلك تحت ضوء الشمس . واذا اردت ان تستوضح النور الرمادي وترى القمر معهُ بصورتهِ البدرية فقف بحيث يحتجب عنك القسم المستنير من الهلال ورآء طرف جدارٍ ونحوهِ ويبقى القسم المستنير بنور الارض وحدهُ فانك تراهُ في تمام الوضوح لزوال ما يكسفهُ من حاجب الهلال

وهنا مسئلةٌ نختم بها هذا الفصل للتفكهة وهي أنّ الناس يختلفون كثيرًا في تقدير دائرة القمر فمنهم من يتوهمهُ بمقدار الصحن الذي لا يزيد قطرهُ على عشر المتر ومنهم من يتوهمهُ بمقدار الطبق الذي قطرهُ نحو نصف متر ومنهم بين ذلك وهي مسئلة كثيرًا ما يُتحاور فيها حتى لا تكاد ترى اثنين يتفقان

على قياسٍ واحد . ولعلّ فصل الخطاب في ذلك ان تؤخذ قطعة ورقٍ او نحوهِ ويُثقَب فيها ثقبٌ مربع كلٌّ من اضلاعهِ نحو نصف سنتيمتر ثم تُثقَب من موضع آخر ويُدخَل في الثقب طرف عصاً بحيث تجري الورقة على العصا وبعد ذلك يوضع احد طرفي العصا عند موق العين ويُنظَر الى القمر من الثقب المربع وتُدنَى الورقة وتُبعَد حتى تماسّ دائرة القمر اربع اضلاع الثقب فاذا انضبط ذلك يؤخذ صحنٌ او شيءٌ آخر مستدير ويُنظَر اليهِ من الثقب المربّع على نحو ما نُظِر الى القمر فيدنو الناظر منهُ او يبعد عنهُ حتى يتماسّ محيطهُ واضلاع الثقب فتكون دائرة القمر بقطر ذلك الصحن على البعد الذي رُؤي عليهِ والله اعلم .

خطاب الى السيدات

لحضرة الكاتبة الاديبة السيدة لبيبة ماضي بالقاهرة

أستهلُّ كلامي بتقديم خالص التهنئة لكافة الادباء قرّاء الجرائد بظهور هذه المجلة الغرّاء التي طالما علقنا النفس بارتشاف سلسال فوائدها وأتمنى لها سرعة الانتشار والنجاح ولمطالعيها عموم النفع بما تبثهُ من الحقائق العلمية والادبية حتى تكون من افضل الآثار التي يُذكَر بها هذا العصر المجيد

اجل يجب على كل اديبةٍ واديب ان يشيدا بفضل هذا القرن الأنوَر الذي لم يرضَ بوداعنا قبل ان سهل لنا كثيرًا من سبل الفلاح ففي عهدهِ كثرت لدينا المدارس وتوفرت لنا الجرائد وتحت لوائهِ مُنِحت المرأة الشرقية حقوق التعليم وهذه من اعظم حسناتهِ وافضل بركاتهِ فكانهُ رأى اهمّية مكانها في الهيئة الاجتماعية وانهُ عليها يتوقف نجاح العمران فمهد سبل تهذيبها واعلاء